مع حمار الحكيم لأحمد رضا حوحو

كتب أحمد رضا حوحو قصة مع حمار الحكيم بتأثير من قصة "توفيق الحكيم" التي عنوانها" حماري قال لي" ، وقد ذكر حوحو أن هذا الحمار كان شؤما على صاحبه في مصر ، "فجر عليه ويلات ،وأحدث له مشاكل عديدة من جراء آرائه الصريحة الجريئة ،وذلك لأنه حمار يرى الأشياء بمنظاره الخاص ، يراها على طبيعتها عارية من مؤشرات الأغراض والعادات والخوف والطمع .لا تؤثر فيه الرغبة والرغبة فنظرة هذا الحمار إلى الحياة نظرة صائبة وحكمة لها أو عليها حكم صادق وتعبيره عنها تعبير صحيح"[1].

يحلم حوحو بلقاء حمار يدخل معه في نقاش حول موضوعات عديدة، أهمها : الإذاعة، والمرأة والدين، والاقتصاد، والتعليم ،والأدب والفنون ؛فيدخل معه في نقاش عقيم وعميق في الوقت نفسه فيحاول إيجاد الحلول لهذه المواضيع فيساء فهمه، وتكون هناك ردود الأفعال من رجال السياسة على وجه أخص ، فقد تعرض حوحو لنفس المضايقات التي تعرض لها الحكيم في مصر، فلما نقد أحوال السياسة ثارت ثائرة السياسيين .كما ثارت ثائرة المرأة التي سبته و شتمته.

لقد كتب أحمد رضا حوحو "مع حمار الحكيم" تأثرا بقصة توفيق الحكيم ، ولكنة يريد من حماره أن يكون مختلفا عن حمار الحكيم ، لأنه أدرك أن هناك فارق بين المجتمعين: المصري والجزائري. و السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ لماذا اصطنعه حوحو؟.

يبدو أن رسم صورة الحمار بالطريقة التي قدمت بها جاء لخدمة غاية معينة، فقد قدمه ليمرر من خلاله آراءه في المواضيع التي ذكرت، فالنقد -في رأي حوحو -كان دائما وأبدا دعامة الإصلاح.

من هو هذا الحمار ،وما هي صفاته:

عندما إلى نص مع حمار الحكيم وجدنا صفات متناثرة على مدار صفحاته ، وهي مجتمعة تعطينا هذه الصورة المضحكة الملئية بالسخرية ، و يظهر من صفات الحمار أن حوحو إنما أراد أن يبث رسالة إصلاحية للقراء غرضها معالجة مشاكل جمة يعانون منها و قد حرص على أن يشيع بينهم جوا يتسم بالضحك ، و الفكاهة ، و التندر ، و السخرية ،و قد طغى هذا الجو على الحوار

---

[1]- أحمد رضا حوحو ،مع حمار الحكيم ، المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2، 1988.

القصصي في النص . يقول حوحو على لسان الحمار نفسه ، " فأنا حمار ابن حمار لو لم يخني التوجيه لكنت اليوم كأبناء الفصيلة أحمل الأحجار و أعيش في سعادة ،و لكن قلة التوجيه تركتني أشتغل بالمجتمع الانساني و أغرق في مشاكله العويصة الملتوية " [2].

إذن من هو هذا الحمار ؟.و ماهي صفاته؟

– شفتاه غليظتان .

–صوته جميل .

–أذناه طويلتان .

–للحمار فلسفة فهو فيلسوف ،يبدو أن له حلولا لكل المشكلات المطروقة في النقاش، و للحمار آراء في شؤون الناس وله حولها أحكام .و هذا الحمار حسن النية لا يطرق الخبث قلبه فهو يحسن الظن بالإنسان، ويرى فيه المثل الأعلى للمخلوقات .للحمار أحاديث ممتعة لا يبال بالمشاكل لطريقة التي ذكرت كانت لغاية المترتبة.

– لهذا الحمار ذاكرة قوية ،فقد تذكر مقال كتبه صاحبه عن الأدب سنة 1938 وفية يبدي رأيا شاذا عن أفول الأدب. و هو شريك لدود في كل أرائه لذا لم يسمح له بنشر شيء دون موافقته.

– من صفات الحمار أنه ينهض باكرا فهو دقيق المحافظة على النظام والمواقيت. هو حمار اجتماعي ،يريد الزواج لأنه يريد الخلف الصالح. الحمار يعي حقيقته فهو خلق للعمل الشاق ،والعيش البسيط .لا يوجد تفاضل في فصيلة الحمار .كما لا يوجد فيهم من يقول أنه حصان .و لا يوجد من يتمنى أن يصبح أكله القمح . لا يشتكون من الحياة فهم يعيشون حياة الرضا .

–من صفات الحمار أنه شرقي .

آراءه في:

1–السياسة يرى أنها تعتمد على المصالح السياسية الشخصية أكثر من اعتمادها على المبادئ والمصلحة العامة. ففي فصل الأحزاب السياسية يناقش مسألة عامة بعد أن رفض الخوض في غمار السياسة ،لان الساسة لا يتحملون النقد فهم يرون فيه معول هدم لا إصلاح . و قد دعاهم إلى رفع مستوى الأمة الثقافية.

[2]-المرجع السابق ، 81.

2-المرأة يرى أنه لدينا آلات للنسل نحتفظ بها في بيوتنا. و قد تطرق على جانب اهتمامه بموضوع المرأة إلى موضوع الزواج بالأجنبيات و المفارقة التي ظهرت هنا هي أن حماره، مثقف لذا لا يريد أن يتزوج من أي أتان ، فهو يريد الزواج من أتان أجنبية. وهو بهذه الرغبة يطرق موضوع زواج المثقفين من الأجنبيات، فقد كانت موضة في عصره .و قد حذره حوحو من خطورة هذا الفعل ، و كانت حجته أن الأجنبية ترى نفسها ابنة حاكم وهو ابن محكوم . و قد عاد إلى موضوع المرأة في فصل المجنون.

3- الدين يرى أن هناك دينان :دين الشعب ودين الدولة.

4-التعليم يرى أن هناك تعليما رسميا يعلم ويجهل في الوقت نفسه.

5-الفنون والآداب يرى أنه لا أدب لدينا ،ولا فنون، ولا صحافة. في فصل الآداب والفنون يطرح رأيه ويقول عنها أنها عنوان النهوض والرقي لكل أمة ، والمظهر الروحي لكل شعب، ولهذا السبب شيدت الأمم الكليات للأدب، فهو المقياس الصادق لأحوال الأمم. وهي جديرة بالعناية ، وهي ليست من الكماليات.

و قد استدرج الحمار حوحو للحديث عن أحوال الأدب في الجزائر. فيقدمه بصراحة ،يقول لدينا مواهب تنقصها الصناعة والتهذيب، والروح أو الصدق في التعبير .ينقصها النفوذ إلى مشاعر الغير ومخاطبة أرواحهم .ثم يفرق حوحو بين المنشئ والكاتب ، والناظم والشاعر ، والعازف والموسيقار .والخلاصة أن كل ما لدينا من الثروة الأدبية هذا النزر البسيط من أدب المقالة .وشيء ضئيل من النظم ، ولا فن مطلقا. من صفات الأديب مقته للمادة، وللجسم الفاني يحب الخلود يجد لذة ومتعة في أدبه.يقول عنه"يجد الأديب في الاشتغال بالأدب لذة ، و يجد في تصيد المعاني الحسان و ابتكارها لذة أخرى، و يجد كذلك في إذاعتها بين الناس، و إيثار إعجابهم أو سخطهم على السواء متعة ، فهو يتلذذ و يستمتع كبقية البشر و لكن لذته و متعته لا يتذوقها غيره و لا يشاركه فيها سواه "[3].و يقول في موضع آخر " الأديب هو الذي يستطيع أن يجعل من أدبه لغة روحية يخاطب بها أرواح الغير ، يعبر بها تعبيرا صادقا عن مشاعره تعبيرا دقيقا عن خلجات نفسه و

[3]-المرجع نفسه ، ص34.

احساساتها ، و يصور بها تصويرا جليا أخيلته و تصوراته دون أن يحسب حسابا لسخط هذا أو رضا ذاك"[4].

و في فصل الأدب العربي يقول أنه ينقصه التوجيه لعدم ارتكازه على أسس ثابتة متينة ، و يعطي أمثلة عن توفيق الحكيم الذي درس القضاء ثم انتهى أديبا ، وكذلك الأمر حدث مع علي محمود طه ، فقد درس الهندسة المعمارية ،ثم توجه للشعر .أما أبو شادي فقد درس الطب ثم تحولت عيادته إلى مجلة أبولو الشعرية و.كذلك فعل علي الجارم الذي درس الشعر ، وكان يريد الفقه.

6-الاقتصاد يرى أن رجال الاقتصاد لا يهتمون بالمهارات الفردية.

7-الغرب : نحن والغرب في هذا القسم يظهر نظرة الغرب المنحطة للشرق واستغلاله لنا، فالغرب هو المعلم المثالي هو المدنية والحضارة.و يتوجب على الغرب أن يعرف نفسه أولا.و هم يعتقدون أن من صفات الشرق العيش في الماضي وهذا بسبب الغرب نفسه و قد تطرق إلى مواقف مفكريهم و كتابهم فهم متعصبون متعصب لا يرودون فهم الشرقي لذا فهم يعيشون مفارقة. فهو من جهة مخلص لمجتمعه ومتعصب للمجتمعات الأخرى.و هم يعتقدون أننا نعيش في سر غامض.

9-الفلسفة : تمثلت فلسفة الحمار في الحديث عن الحرية ،والعدالة ، والإنسانية.فقد شوه الإنسان هذه المعاني السامية؛ فهناك الديمقراطية المزيفة، والمظالم الفظيعة، والكذب، والزور، والظلم، والطغيان، والخداع والنفاق.

10-في فصل مع القارئ ظهر إعجاب القراء بآراء الحمار . و قد سجل في فصل في بريدي الحمار إعجاب القراء بفكره، فقد وصفوه بالحمار العجيب ،فقد أصبح له مكان بين القراء أكثر من صاحبه .

11-علم التربية يرى أن الحفظ هو وسيلة التعلم في ظل كثرة المواد. أما الملكة و الذهن فهما معطلتان ،و هذا يرجع إلى عدم وجود علماء تربية، فكل ما لدينا تجارب وقراءات.

[4]-المرجع نفسه ،ص37.